



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه (وبعد)

فإن الله تعالى قد اختصكم بحمل راية الجهاد، والدفاع عن الإسلام، والذود عن حرمات المسلمين. وإنها لمكانة عظيمة، وعد الله سبحانه من حمل هذه الرأية بأن يهديه سواء السبيل، قال سبحانه: {وَالَّذِينَ جَاهُدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:69]. ونوه سبحانه في دستوره الخالد وقرآنـه الكريم بفضل المجاهدين فقال: {وَفَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:95].

ووصف الله المجاهدين الصادقين الذين يحبهم ويحبونه بقوله: {أَذْلَلَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمٍ} [المائدة:54].

وقد آلمـنا وأحزـن كل مسلم صادق غـير ما يجري بين إخوانـنا من فصائل المقاومة في الغـوطـة الشرقيـة من مـقتـلة عـظـيمـة، راح ضـحيـتها المـئـات من أـطـهـر النـاسـ وأـصـدـق النـاسـ، مـمن باعـوا زـهـرة الـحـيـاة الـدـنـيـا بما هو خـيرـ وـأـبـقـيـ عند الله تعالىـ. وـكـذـلـكـ ما حدـثـ من أـسـرـ بـعـضـهـ لـبعـضـ، وـحـصـارـ بـعـضـهـ لـبعـضـ.

وهـذاـ من نـزـغـ الشـيـطـانـ الـذـيـ نـزـغـ بـيـنـ هـاتـيـنـ الطـائـفـيـنـ {إـنـ الشـيـطـانـ يـنـزـغـ بـيـنـهـمـ إـنـ الشـيـطـانـ كـانـ لـلـإـنـسـانـ عـدـوـاـ} [الإـسـرـاءـ:53]. وـهـوـ كـمـاـ أـخـبـرـ تـعـالـىـ: {إـنـمـاـ يـرـيدـ الشـيـطـانـ أـنـ يـوـقـعـ بـيـنـكـمـ العـدـاوـةـ وـالـبغـضـاءـ} [المـائـدـةـ:91]. وـأـيـ عـداـوةـ وـبغـضـاءـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ يـسـفـكـ بـعـضـنـا دـمـاءـ بـعـضـ، وـأـنـ يـحاـصـرـ بـعـضـنـا بـعـضـ، وـأـنـ يـأـسـرـ الـمـسـلـمـ أـخـاهـ الـمـسـلـمـ أـوـ يـجـهزـ عـلـيـهـ؟؟!

إـنـ آيـاتـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ تـنـادـيـنـاـ: {وـأـعـتـصـمـوـاـ بـحـبـلـ اللـهـ جـمـيعـاـ وـلـاـ تـفـرـقـوـاـ} [آلـ عمرـانـ:103]. وـالـلـهـ تـعـالـىـ يـحـذـرـنـاـ: {وـلـاـ تـنـازـعـوـاـ فـنـفـشـلـوـاـ وـتـذـهـبـ رـيـحـكـمـ} [الأـنـفـالـ:46].

فيـاـ لـسـعـادـةـ أـعـدـائـكـمـ وـقـدـ اـجـتـمـعـوـاـ عـلـىـ إـبـادـتـكـمـ، وـهـمـ يـرـونـكـمـ تـتـناـحـرـونـ وـتـتـقـاتـلـونـ، حـتـىـ تـضـعـفـ جـبـهـتـكـمـ، وـتـذـهـبـ رـيـحـكـمـ، فـيـمـيـلـوـاـ عـلـيـكـمـ مـيـلـةـ وـاحـدـةـ.

والنبي صلى الله عليه وسلم يشدد في تحريم دم المسلم، فيقول كما في حديث جابر، عند مسلم وأبي داود: "إِنْ دَمَّاْكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحْرَمَةُ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلْدَكُمْ هَذَا".

وكما في حديث أبي هريرة عند مسلم وأحمد وأبي داود والترمذى: "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ".  
وكما في حديث أبي بكرة المتفق عليه عند البخاري ومسلم: "إِذَا تَقْتَلَ الْمُسْلِمُانِ بِسَبِيلِهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ"؛  
فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: "إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ".

إن المسلمين يتناصرون ويتعاضدون فيما بينهم، وهم يد على من سواهم، يربط بينهم رباط الإسلام، وعروة الإيمان، وفي الصحيحين، من حديث ابن عمر: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يُظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ".

وقد امتن الله تعالى عليهم بهذه الرابطة وتلك الأخوة فقال: {وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103]

وقال سبحانه: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 63].

وقد أرشدنا الله تعالى إلى أن نصلح بين إخواننا فقال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: 1].

وقال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ} [الحجرات: 10].

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذى من حديث أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرْجَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَإِنْ فَسَادَ ذَاتُ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالَةُ".

وأقول لإخواني من المجاهدين في جيش الإسلام وفي فيلق الرحمن: ينبغي أن يكون فيلق الرحمن جزءاً من جيش الإسلام، وأن يكون جيش الإسلام معبراً عن فيلق الرحمن. ينبغي أن يندمج الفصيلان ليزدادوا قوة إلى قوتهم، وبأساً إلى بأسهم، وصلابةً إلى صلابتهم، فيكونوا قوة عصية على عدوهم، تتقدم إلى الأمام ولا تتقهقر إلى الخلف، يقاتلون عدوهم صفاً واحداً كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: 4].

وتسعنا جميعاً قاعدة المنار الذهبية: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه".

إن أمة الإسلام في المشارق والمغارب ترقب جهادكم، وتدعوا الله أن ينصركم نصراً مؤزرًا، ولا تنتظروا منكم هذا التناحر، ولا تقبل منكم هذه الأفعال!

وإن دماء الشهداء، وألام الجرحى، وأعراض الحرائر، وأحزان الثكالى والأرامل، وأنات المعتقلين تصرخ فيكم: أن كفوا عن هذه المعارك الخاسرة!

إن تمكّن الخالق منكم، ومحاولتكم بعضكم التغلب على البعض يطيل عمر عدوكم، إن لم يكن له في ذلك طوق النجاة؟!  
إن المصائب يجمعن المصابين، فكيف بمصاب أهل الشام وما يتعرضون له من تقتيل وتشريد لهما أكثر من خمس سنوات؟ وكيف وقد رمتكم الدنيا عن قوس واحدة؟!!

إن إخلاص العمل والقبول عند الله تعالى يرتبط بصدق النية، والبراءة من حظوظ النفس. كما في حديث أبي موسى الأشعري عند البخاري ومسلم: قال صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله عز وجل".

نَسأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَصْلِحَ بَيْنَ إِخْوَانَنَا، وَأَنْ يَحْقِنَ دَمَائِهِمْ، وَأَنْ يُوحِدَ كَلْمَتَهُمْ، وَأَنْ يَقُويَ عَزَائِمَهُمْ، وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَى الطُّغَاهِ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَآخِرُ دُعَوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يوسف القرضاوى

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

المصادر: